

## الفصل التاسع

شرق وغرب

www.anwarsadat.org

## الشرق شرق والغرب غرب

" الشرق شرق ، والغرب غرب ، ولن يلتقيا "

ان كبلنج على حق

فلن يلتقى الشرق والغرب أبدا ما دامت هذه هي طريقة فهم الغرب للشرق ، وما دامت هذه هي الطريقة التى تتناول بها الصحافة فى الغرب معالجة مثل هذه الأحداث التاريخية وتحليلها للشعوب الأمريكية والإنجليزية والفرنسية .

واشفقت على هذه الشعوب

فالرجال الرسميون فى الغرب وصحافة الغرب كلهم يخفون الحقائق عن شعوبهم عمدا وبطريقة تجعلنا دائما على حذر ، ودائما متيقظين ، فى الوقت الذى تعكس فيه على شعوب الغرب القلق وصنوبا كثيرة مما يسمونه الحرب الباردة .

ومن سخرية القدر أن هذه الحرب الباردة كان مصمموها يريدونها لنا حتى نخاف فنظل داخل الدائرة الاستعمارية الخبيثة ، ويشاء الله ألا تنقلب عليهم بل وتعكسها صحفهم فى كل يوم على شعوبهم .

خوفا من الشرق الذى تحرر

ورعبا من الشرق الذى يريد أن يهلك الغرب

إلى آخر ما تقوله صحافة الغرب كل يوم ومحوره الوحيد هو أن حرية الشرق خطرا يهدد كيان الغرب

ويظهر أن عقلية هؤلاء القوم قد فسدت نهائيا وأن نفوسهم قد انحطت بها عقدة

الاستعمار إلى درك لا يرجى معه فهم أو أفئاع ومرة أخرى يصبح كلينج على حق

فإن الصحافة الأمريكية والصحافة الإنجليزية والصحافة الفرنسية تردد كلها نغما واحدا

هو الدعاء لله ألا يسفر اجتماع بريونى – حين تم ذلك الاجتماع – عن كتلة حيادية تصبح

كتلة ثالثة فى هذا العالم

## نفس عقلية الكتل والأحلاف !

ولقد شمر كل كاتب عن ساعده فى تلك الصحف وراح يثبت لقرائه أن قيام هذه الكتلة أمر غير ممكن عمليا بينما أنبرى آخر يتكهن بقيام كتلة أخرى تسمى كتلة شرق البحر الأبيض المتوسط ، وتضم يوغسلافيا واليونان ومصر ولبنان وسوريه والأردن . إلى آخر ما جاء به خيال هؤلاء الموجهين ، ولكن المؤسف أن هذه الصحف فى بلاد العرب الثلاث الكبرى تجمع على أن المجتمعين فى بريونى يفكرون على طريقة الكتل والأحلاف الغربية .

## ومرة ثالثة يصبح كبلنج على حق

أنه ما من شك فى أن اجتماع بريونى يعتبر أخطر حدث تاريخى فى فترة ما بعد الحرب ، ومبعث هذه الخطورة يتمثل فى الأمور الآتية :

- 1 - أنه لم يعد مصير العالم ملكا لدولة أو لدولتين ، ولم تعد مصائر البشرية وسلمها وأمنها من اختصاص ما كان يسمى بالكبار لأن تعبير الكبار قد انتهى أوانه .
- 2 - أن أوروبا - لأول مرة فى التاريخ - تخرج فى شخص الزعيم تيتو على تقاليد الموروثة فيضع تيتو يده فى يد نهرو زعيم آسيا وفى يد جمال زعيم أفريقيا من أجل الحرية والسلام والتعايش .

ومغزى هذه المصافحة هو أنها مصافحة شعوب لا مصافحة حكام .

3 - أنه نداء لكل شعوب الأرض يفتح لها طريق الأخاء والمحبة .

4 - أنه ضربة فى الصميم لبقايا الاستعمار الذى يترنح اليوم ، وأمل لكل الدول

المستعبدة فى الخلاص والتحرر

وعبث أن يقلق الحكام والكتاب فى الغرب نفوسهم ونفوس شعوبهم بفكرة الكتلة الثالثة

فالكثلة الثالثة قد تشكلت فعلا وعملا ولا داعى لأن يوقع الثلاثة فى بريونى وثيقة هذا

التشكيل التى تقلق بال هؤلاء الحكام وأولئك الكتاب .

أن الكتلة الثالثة اليوم حقيقة قائمة وهى أقوى الكتل على الإطلاق . . .

أنها كتلة الشعوب التي تريد أن تستثمر مواردها لخير أبنائها ورفاهية شعوبها .  
أنها كتلة الشعوب التي تعترف لكل إنسان بحقه في الحياة وحقه في رزقه وحقه في  
أمنه وحقه في وطنه وحقه في حياة أفضل ومستقبل مطمئن في عالم يؤمن بالقيم وبالحب  
وبالمساواة .

أنها كتلة الشعوب التي قاست من الاستعمار الذي سلب أموالها من أجل أن يبني  
رفاهية في لندن وباريس ولاهاي وكثير من المدن الأخرى .

أنها كتلة الشعوب التي تريد السلام للسلام والحرية للحرية ، فهي لذلك لن تلجأ إلى  
مواثيق كميثاق الأطنطى تضحك به على الناس وانما ميثاقها كامن في صدور ابنائها في  
أفريقيا وفي آسيا وفي يوغسلافيا ، وأرادة هذه الشعوب كفيلة بأملء هذا الميثاق من غير  
أن يكتب ومن غير أن يوقع

فسلام لك يا تيتو يا رجل أوروبا الحر

وسلام لك يا نهرو يا رجل آسيا المكافحة

وسلام لك يا جمال يا فخر شعبك وأصدقائك وزعيم أهلك وزعيم أفريقيا .

## ما هو الشرق وما هو الغرب

أننى أعتبر قرار تأميم قناة السويس ضربة من ضربات القدر التى تأتى لكى تختم مرحلة معينة من تاريخ البشرية ولتبدأ فى نفس الوقت مرحلة جديدة بتطور جديد وتاريخ جديد . . . .

والذى يقرأ صحف إنجلترا وفرنسا وكثير من دول أوروبا اليوم ومنذ أن أمت قناة السويس سيرى أن كلمة غرب وشرق تتردد فى كل سطر ، وسيسمع نغمة جديدة تحذر الغرب من الشرق تارة ، أو تحرض الغرب على الشرق تارة أخرى ، وفى هذا التحذير أو ذلك التحريض تستطيع أن تلمس حقيقة واضحة جلية هى أن هذا العالم ينقسم إلى شرق وغرب وأن عقلية أهل الغرب قد نشأت وتربت على فهم الشرق أو التعامل معه من خلال مبدأين فقط أحدهما هو الحذر والتحذير وثانيهما هو الاعتداء والتحريض .

وحين أقول هنا شرق وغرب فأنا لا أعنى ما أصطلح عليه اليوم من تعريف لأكبر كتلتين متنازعتين فى العالم حين أطلقوا على روسيا ومن معها " الشرق " وعلى " أمريكا " ومن معها غرب وإنما أنا أعود بهذه التسمية إلى أصولها عبر التاريخ ومع ركب الزمان ، وقد يكون ما عناه شاعر الاستعمار الإنجليزي كبلنج هو التفسير الأقرب إلى ما أعنيه من هذه التسمية حينما قال فى قصيدته المشهورة :

الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا .

وحين نريد أن نضع حدودا تفصل بين الشرق والغرب حتى نستطيع أن نتناول كل ناحية بالدرس والتحليل من التاريخ الواقع فأنا سنواجه صعوبات كثيرة .

فهل تكون هذه الحدود جغرافية مثلا ؟

أم تكون هذه الحدود حضارية ، بمعنى أن تكون مميزات الحضارة عبر التاريخ واشتراكها أو انبثاقها من منبع واحد لشعوب مختلفة هى الحد مثلا الذى نجمع به الغرب فى ناحية والشرق فى ناحية أخرى ؟

أم تكون هذه الحدود على أساس الجنس ، فنقول أن جنسا معيناً أو أجناساً بذاتها تكون الغرب وأجناساً أخرى تكون الشرق ؟

فإذا اتخذنا من الجغرافيا أساساً وقلنا كما قال مفكرون من الغرب فى القرن التاسع عشر أن الخط الذى يفصل بين الشرق والغرب يمتد راسياً من الشمال إلى الجنوب عند انتهاء شرق البحر الأبيض المتوسط وكل ما يقع شرق ذلك فهو الشرق وكل ما يقع غرب ذلك فهو الغرب إذا قلنا هذا فأننا سنرتكب خطأ جسيماً ، إذ أن مصر وفلسطين وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ستقع كلها جميعاً فى الغرب فى الوقت الذى ترتبط فيه كل هذه البلاد بالشرق بروابط تاريخية وحضارية فضلاً عن أن جميع مقومات شعوبها شرقية بحتة ولا تشترك مع الغرب فى قليل ولا كثير بل هى أبعد ما تكون عن الغرب ، كذلك سنرتكب نفس الخطأ بالنسبة لأستراليا ونيوزيلندا ، فأنهما بحسب هذا التقسيم هما فى الشرق فى الوقت الذى لا تربطهما بحضارة الشرق ولا تاريخه ولا مقوماته أية روابط بل هما أبعد ما تكونان عن العقلية الشرقية والبيئة الشرقية .

ولن نستطيع أن نتخذ من الجنس قاعدة أيضاً ، فالصين وهى شعب واحد تضم أجناساً متعددة ، كذلك ينطبق الأمر على أمريكا وعلى روسيا .

لذلك فلا مخلص إلا بالحضارة التى تكون العقلية وترتكز فى مقومات تكون هى بذاتها المميزات الخاصة التى تميز الشرق عن الغرب ، وهنا نستطيع أن نحدد الشرق بكل الشعوب التى تكون حضارتها ويكون تاريخها من حضارة وتاريخ الشرق ، ونستطيع أن نحدد الغرب بنفس هذه الطريقة .

وبهذه الطريقة أيضاً لن نقع فى الخطأ ، فأن تونس والجزائر ومراكش تقع فى الخريطة ناحية الغرب ولكنها فى الحقيقة من الشرق حضارة وتاريخاً ، وكذلك تقع أستراليا ونيوزيلندا على الخريطة فى صميم الشرق ولكنهما فى الحقيقة والواقع من الغرب حضارة وتاريخاً .

وقد أكون أطلت عليك أيها القارئ بهذا اللون من البحث ، ولكنه حيوى جداً لنا فى هذه المرحلة من مراحل وجودنا فنتعلم أن نحدد كل شىء ، وكما قلت لك فى الفصول السابقة

وكما تسير الحوادث فى العالم اليوم نحن نواجه معركة لا تشترك فيها مصر وحدها وانما هى معركة بدأت منذ قرون طويلة بين الشرق والغرب ، وهى معركة تحدد مصيرها نهائيا بقرار تأميم قناة السويس لذلك نجد أن صحافة الغرب وحكام الغرب اليوم فى فزع وفى ريب منذ أن أعلن قرار التأميم ، حتى أن هذا الفزع وذلك الرعب اتخذوا شكلا هستيريا فى كل دوائهم لدرجة أنهم حشدوا الاساطيل وجهزوا الجيوش وأعلنوا سافرا على العالم أجمع أنهم يعدون للحرب والعدوان بعد أن كانوا يطلقون على أنفسهم العالم الحر الذى يدافع عن الحرية ويدافع عن العدوان !

وكذلك لم تستطع صحافة الغرب أن تكتم الحقيقة فصاحت فى جنون تردد الخوف من الشرق وتحرض على الشرق وتبكى وتندب على مصير الغرب إذا لم يخضع هذا الشرق .  
وكما قلت لك فى صدر هذا المقال ، فإن نظرة الغرب إلى الشرق تنحصر فى مبدئين أما أن يكون أحدهما حذرا ولذلك لا بد من أخذ الحيطة والأعداد المستمر للمؤامرة ضد الشرق وأما أن يكون المبدأ الثانى وهو التحريض على إخضاع الشرق وكنتم أنفاسه ، وغرض الحرب فى الحالتين هو الحصول على موارد الشرق الغنى لاسعاد المجتمع الغربى وبنائه ، ومنع هذا الشرق من كل تقدم أو تعليم أو قوة حتى يظل ضعيفا جاهلا متأخرا ويظل الغرب يفرض حمايته عليه . . .

وكيف تحدد مصير هذه المعركة بقرار تأميم قناة السويس هذا ما سأسرده فيما يلى .

## حقيقة المعركة

قلت فى تعريف الشرق وتعريف الغرب أن نظرة الغرب إلى الشرق تنحصر فى مبدأين أما أن يكون إحداهما حذرا ولذلك لابد من أخذ الحيطة والأعداد المستمر للمؤامرة ضد الشرق .  
وأما أن يكون الآخر وهو التحريض على اخضاع الشرق وكنم أنفاسه ، وغرض الغرب فى الحالتين هو الحصول على موارد الشرق الغنى لاسعاد المجتمع الغربى وبنائه ، ومنع هذا الشرق من كل تقدم أو تعليم أو قوة حتى يظل ضعيفا جاهلا متأخرا وحتى يظل الغرب يفرض حمايته عليه .

فما هى حقيقة هذه المعركة ؟

أنا لكى نبحث فى حقيقة هذه المعركة لا بد لنا من أن نتناول كل ظاهرة ظهرت من الغرب فى معركة قناة السويس بنفس الاهتمام الذى نتناول به الحقائق التاريخية والحضارية ونحن نتقصى حقيقة هذه المعركة التى هى فى حقيقتها أيضا ختام لمأساة سيطرة الغرب على الشرق .

ولقد بدن من الغرب ظاهرة لها أهمية قصوى فى هذا البحث .  
فأن رئيس وزراء فرنسا صرح فى أوج انفعال من انفعالاته أن على المسلمين أن ينقوا فى معونة فرنسا وأنها تدخر الخير العميم للإسلام والمسلمين .  
ثم لم يلبث المسئولين فى إنجلترا أن عقبوا بمثل هذا التعقيب .  
إلا أن صحف الغرب كانت أوضح فقد نادى علانية بأن المعركة معركة الإسلام والعرب ضد الغرب المسيحى ، بل نادى صحف أخرى بأن الشرق الإسلامى يريد أن يفتك بالغرب المسيحى .

وهذا تضليل متعمد وقلب للحقائق .

فأن الشرق الذى قام لكى يواجه الغرب متحديا فى معركة قناة السويس ، هذا الشرق يمتد من الصين شرقا إلى المحيط الإطلى غربا .  
وفى الصين شعب تعداده ستمائة مليون نسمة ، ولكن الصين عن بكرة أبيها شعبا وحكومة وقفت لتتحدى الغرب بالستمائة مليون .

وفى الهند ثلاثمائة وثمانون مليوناً ، وقفت على بكرة أبيها شعبا وحكومة لتتحدى الغرب بالثلاثمائة والثمانين مليوناً .

أذن المسألة ليست مسألة الشرق الإسلامى ، وإنما هى مسألة الشرق الذى خدعه الغرب واستعمره واستنزف دماءه ، هذا الشرق يريد اليوم أن يثأر لنفسه ليس على طريقة الغرب بالعدوان والاعتصاب ، وإنما يريد هذا الشرق أن يعيش حراً مستقلاً تسيطر كل أمة فيه على مصائرها ، وتستغل كل أمة فيه خيراتها أرضها لاسعاد أبنائها ، وتحترم كل أمة فيه استقلال غيرها من أمم الشرق والغرب على السواء .

أن أكثر من ألف وخمسمائة مليون نسمة قامت لتؤيد مصر شعوباً وحكومات من مختلف الديانات والعقائد بعزم واحد وأيمان واحد .

فقول الغرب أذن أن الشرق الإسلامى يريد أن يفتك بالغرب المسيحى قول يحمل المغالطة بل التهجم على الواقع .

ولكنه كما قلت ظاهرة من ظواهر هذه المعركة التى كان لا بد أن تقع بين الشرق والغرب لكى ينتهى تاريخ ويبدأ تاريخ .

ولو أن النزاع على قناة السويس كان بين الهند والغرب مثلاً لسمعنا أيضاً من يقو فى صحف الغرب أن الشرق الهندوسى يريد أن يفتك بالغرب المسيحى .

أو لو أن النزاع على قناة السويس كان بين بورما والغرب مثلاً لسمعنا أيضاً من يقول فى صحف الغرب أن الشرق البوذى يريد أن يفتك بالغرب المسيحى .

وما أريد أن أستخلصه من هذه الحقيقة هو أن المعركة بين الشرق والغرب موجودة وقديمة قدم حضارة الشرق وسطحية الغرب .

وأن هذه المعركة موجودة طالما كان الشرق غنياً بالموارد والكنوز التى تخرج من باطن أرضه وخصب تربته ووفرة محصوله من كل ألوان الثمار .

، إن هذه المعركة ستستمر ما دام فهم الغرب للشرق مبنياً على أسس كلها خاطئة وجائرة وتتنافى مع كل شرائع الأرض والسماء .

فما هي هذه الأسس الخاطئة الجائرة ، وكيف نشأت وتولدت وصارت إلى ما صارت إليه في معركة قناة السويس من تهديد لأمن البشر وتنكر لما هو حق وعدل وخير ؟  
كيف يحاول الغرب أن يستغل الأديان في نشر العداوة والبغضاء وهي كلها تأمر بالمحبة والسلام ؟  
هذا ما سأسرده في الفصول القادمة .

## الأسس الخاطئة

وقع فى يدى مقال لجريدة سويسرية هى جريدة " جورنال دى جنيف " نشرت الجريدة فى يومى 11 ، 12 من شهر يولية سنة 1956 تحت عنوان " أن الجزاء الحق من جنس العمل " وهذا العنوان هو عبارة عن كلمة قالها كليمنصو السياسى الفرنسى وهو يحتضر ، والمقال عبارة عن تحسر على مصير إنجلترا وفرنسا العظيمنتين فى نظر كاتبه وتحريض لهما من ناحية أخرى ، إلا أن استهلال المقال ونهايته هما اللذان لهما أكبر الاهتمام فى نظرى أذ أنهما يكونان حلقة من حلقات هذا البحث " الأسس الخاطئة " .

قال الكاتب وهو يستهل مقاله :

" وضعت مصر يدها على قناة السويس ، وكان عملها هذا تهديدا مباشرا لأوربا

واختتم الكاتب مقاله قائلا :

" ورحنا نشاهد بلادا كاليونان التى كانت حتى الأمس القريب موالية لأوربا بل أكثر من

ذلك موالية لإنجلترا تؤيد سياسة ناصر

" كما أننا نشاهد دولا أخرى ترفض تحديد موقفها من مسألة قناة السويس بينما يقوم

من أعماق آسيا ملايين من الرجال الذين يرزحون تحت عبء سوء التغذية والفقر والذين

تجيش فى صدورهم ارادة جامحة فى نيل استقلالهم بالهجوم على المدنية الأوربية .

" ها نحن نواجه التحدى فهل يكون فى وسعنا قبوله والدفاع عن تراث المبادئ

الإنسانية والمبادئ المسيحية التى لم نعرف كيف نحترمها روحا ونصا ؟ "

وفى الفصل السابق قلت :

" وما أريد أن استخلصه من هذه الحقيقة هو أن المعركة بين الشرق والغرب موجودة

وقديمة قدم حضارة الشرق ووسطحية الغرب وأن هذه المعركة ستستمر ما دام فهم الغرب

للشرق مبنيا على أسس كلها خاطئة وجائرة وتتنافى مع كل شرائع الأرض والسماء "

وتساءلت فى نهاية المقال :

" فما هى هذه الأسس الخاطئة الجائرة ، وكيف نشأت وتولدت وصارت إلى ما صارت

إليه فى معركة قناة السويس من تهديد لأمن البشر وتنكر لكل ما هو حق وعدل وخير ؟

" وكيف يحاول الغرب أن يستغل الأديان في نشر العداوة والبغضاء وهي كلها تأمر بالمحبة والسلام ؟ "

وهكذا نرى أن مقال الجريدة السويسرية يلقي أضواء صريحة على حقيقة المعركة الدائرة اليوم

فاسترداد مصر لقناة السويس في نظر الكاتب السويسري تهديد مباشر لأوروبا ثم يهاجم - وهذا هو لب المعركة - آسيا بملايينها الهائلة وهو ينعى على اليونان عدم ولائها لأوروبا

وينعى عليهم أنهم أيدوا مصر في ممارسة سيادتها ، ويعتبر أن تصميم هذه الملايين على نيل استقلالهم هجوم على المدنية الأوربية.

ثم يختتم الكاتب مقاله باعتبار كل ذلك تحدياً للمبادئ الإنسانية والمبادئ المسيحية .

وقد تطوع الكاتب السويسري الأوربي بالرد على تساؤلي في وضوح وجلاء

فطريقة فهم الغرب للشرق لا تتعدى اعتبار هذا الشرق ملايين من الهوام الجائعة العارية الجاهلة وأن على الغرب أن يتولى أمر الوصاية عليها باسم المبادئ الإنسانية وباسم مبادئ الديانة المسيحية وباسم المدنية الأوربية .

وفي هذا أيضا تهجم على الحقيقة وعلى التاريخ وعلى كل القيم البشرية .

فأما أن للغرب الولاية على رسالة المسيحية وتفسيرها هذا التفسير الذي يتنافى مع مبادئها وأصولها ثم اقحامها في هذه الدعوى الاستعمارية التي تقوم على البغضاء وبث الكراهية بين بني البشر فأمر لا نقبله نحن في الشرق لأننا نعرف المسيحية ومبادئها ، ولأن منا المسيحيين وأرضنا هي مهدها ومن أرضنا خرجت هذه الرسالة إلى أوروبا الجاحدة .

نحن في الشرق على اختلاف ديانتنا وعقائدنا نعرف المسيحية ونحترمها وننزهها عما يريد الغرب أن يلصقه بها .

فالبوذي والهندوكي والمسلم والكونفوشي ومسيحيو الشرق وأقباطه يعرفون المسيحية كما لم يعرفها الغرب أو يريد أن يعرفها .

والغرب فى تطفله على المسيحية ينسى أن هؤلاء الملايين الذين يصفهم بالعراة الجياع فى الشرق هم أصحاب الحضارات يوم لم تكن لأوروبا حضارة ، وهم أصحاب الديانات يوم لم تكن لأوروبا ديانة وهم أصحاب الحكمة يوم كانت أوربا تتيه فى ظلمات الجهل وتعيش على السحر والخرافات . . .

والشرق مهد المسيحية يعرف أن المسيحية قامت على مبدئين أولهما هو الإيمان وثانيهما هو المحبة .

فأين هذه المبادئ مما يريد الغرب أن يتوسل به بأسم المسيحية ؟  
والشرق مهد المسيحية يعرف ويعلم أن المعلم الأكبر لم يكن يفرق بين أبناء البشر بل أن رسالته تنادى إلى يومنا وإلى يوم قيام الساعة بالمحبة بين سائر أبناء البشر .  
ولو أن رجلا ذا بشرة سوداء أو صفراء تقدم للمسيح لكى يشفيه من مرضه أو علقه للقى من المسيح ما يلقاه الأبيض على السواء .

فهل يفهم الغرب رسالة المسيح كما نفهمها نحن فى الشرق ؟  
لا ، أنهم فى غمرة المدنية المادية التى أحاطت بكل مبادئهم تنكروا للمسيحية روحا ونصا .

وهم الذين ابتدعوا رسالة الرجل الأبيض وفرضوها على بقية العالمين الذين سموهم ملونين .

وهم الذين يستحلون قتل الأبرياء إذا طلبوا بحق تقرير مصيرهم فى بلادهم .  
وهم الذين جعلوا من القرصنة شجاعة  
وهم الذين يعتبرون استنزاف خيرات الناس وقهرهم حقوقا مشروعة .  
وهذه نقطة أساسية فى الخلاف بين الشرق والغرب  
فنحن فى الشرق نعتبر الأديان ملجأ روحيا تصفو فيه نفوسنا من أكار هذه الحياة .  
وهم فى الغرب يريدون أن يستغلوا الدين فى أساليبهم لقهر الناس وفرض أرائهم وسيطرتهم .

ونحن فى الشرق نعتبر المسيحية رسالة عالمية سمحة لا تختلف فى مبادئها عن سائر دياناتنا ومعتقداتنا لأنها كلها تحض على المحبة والإخاء والسلام .  
وهم فى الغرب يعتبرون أنفسهم أولياء على المسيحية ويعتبرون كل ما عداها جهالة وخرافة وبربرية .  
وهكذا يتورطون فى الغرب وهم يقحمون المبادئ المسيحية فى أطماعهم الدنيوية ونسوا أننا فى الشرق مهد المسيحية وأصل الأديان .

## مدنية الغرب

لقد كانت معركة قناة السويس ميدانا التقى فيه الشرق والغرب لأول مرة منذ قرون كان الغرب فيها يستعبد الشرق ، وظن الغرب أن لا قائمة ستقوم للشرق ، لذلك رأينا أن الغرب يفقد أعصابه لأول مرة فى تاريخه الحديث على صورة وصفها معلق أمريكى ابلغ وصف حين قال :

" أن بريطانيا تتصرف لأول مرة كدولة لا تثق فى نفسها "

وكان مشهورا عن بريطانيا طوال قرون الاستعمار السابقة أنها تعتمد على هيبة كانت تحكم بها الملايين وترهبهم من غير أن ترسل جنديا بريطانيا واحداً "

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل أرتفعت الصيحات فى أوربا تنادى بأن الحضارة الغربية فى خطر وأن زعماء الغرب وهم الحراس الأمناء على هذا التراث الإنسانى يجب أن يحافظوا على هذه الحضارة وذلك التراث الذى يهدده الشرق اليوم فى صحوته التحريرية .  
وكان حضارة الغرب وتراثها الذى تخاف عليه أوربا وأمريكا لا تعيش إلا على أشلاء الشرق ، ولا تزدهر إلا إذا امتصت دماء الشرق .

ولكنها هى الحقيقة المخجلة

فحضارة الغرب اليوم ليست بمعناها العلمى أو النظرى وإنما هى مدنية

وفرق كبير بين الحضارة والمدنية

فالحضارة تقوم على مقومات معنوية وروحية قبل أن يكون لها مقومات مادية ، لذلك نرى أن طابعها لا يكتفى بالمظهر وإنما يعتمد أول ما يعتمد على الجوهر .

والمدنية لا تعرف المقومات المعنوية أو الروحية على الإطلاق ، وإنما هى تتناول جوانب المادية البحتة فى حياة الفرد والمجتمع التى لا تعدو أن تكون مظهرا ، كأن تحيل حياته كلها ميكانيكية مثلا بالأزرار والآلات ، وهى لذلك لا تقيم وزنا بل لا تعرف الجوهر فى حياة الإنسان .

من أجل ذلك كانت الحضارة ولا تزال تعنى أول ما تعنى بالقيم الإنسانية العليا .

أما المدنية فإنها تعتبر القيم الإنسانية من مقومات تقدم البشرية .

وعلى هذا القياس ، ومما نراه اليوم نستطيع أن نعرف الفرق بين الحضارة والمدنية ونستطيع أن نعرف ما يسمونه حضارة الغرب بمدنية الغرب .

وهنا يتضح خلاف آخر بين عقليتي الشرق والغرب .

فالغرب يعتقد أن مدنيته الحالية أن هي إلا حضارة هو الولي عليها ، وأن من أخص رسالاته أن يقهر الشعوب في الشرق على قبول هذه الحضارة الغربية في أشكال يحدد هو مفهومها .

فالغرب حين يدخل مثلا نظامه الديمقراطي في شعب من شعوب الشرق فإنه لا يدخل ما يطبقه هو في بلاده وإنما يفرض على هذه الشعوب النظام الذي يريد لكي يحقق له السيطرة والتحكم .

ثم يلصق بهذا النظام اسم الديمقراطية وينسبه إلى الحضارة الغربية الجديدة .

والغرب حين يدخل العلوم إلى بلد من بلدان الشرق يكون قد ابتلى باستعمار غربي فإن هذه العلوم لا تتعدى مراحل ساذجة أولية لأن مفهوم الحضارة الغربية عند الغرب هو أن لا يتعلم الشرق من علوم الغرب إلا قشورها لكي تظل للرجل الأبيض السيادة والهيمنة عن طريق العلم .

ولا زالت شعوب كثيرة من التي ابتليت بالاستعمار تنن إلى اليوم لأنه لا يوجد فيها طبيب أو مهندس فهذه المهن في عرف الحضارة الغربية مقصورة على الرجل الأبيض الممتاز وهي سبيله إلى السيطرة والسيادة .

وهناك مثل آخر على ذلك

فأن بريطانيا تستقدم بعثات عسكرية من دول كثيرة في الشرق والغرب ، وتصادف أن كان بعض الضباط المصريين في بعثة من هذه البعثات سنة 1950 وعندما عادوا كانوا يرون أن محاضرات بذاتها كانت محرمة عليهم وبعثات بقية البلاد الشرقية لأن هذه المحاضرات أسرار لا يجوز لغير الإنجليز والأوربيين أن يعرفوها .

أي الرجل الأبيض مرة أخرى

هذا هو مثل من مفهوم الحضارة أو على الأصح المدنية عند الغرب .

أما مفهوم الحضارة عند الشرق فإنه يختلف عن ذلك تمام الاختلاف .  
فالشرق يعتز بأن أولى الحضارات التي عرفتها البشرية كانت في أرضه .  
الحضارة الصينية التي أخرجت الحكمة والنور .  
والحضارة الفرعونية التي أدهشت وتدهش العالم إلى اليوم بهذا التفوق في العلوم  
والفنون .

والحضارة الهندية التي تعمقت منذ القدم في أغوار الروح والمادة وأخرجت للناس  
حكمة وعلوما وفنونا لا تزال تراثا مجيدا إلى يومنا وإلى يوم الساعة .  
والشرق يفهم الحضارة على أنها قيم قبل أن تكون مادة ، فقد رأينا أن الحضارة  
الصينية والمصرية والهندية أخرجت سلوكا وآدابا وقدمت السرة ونظمت علاقة أفرادها  
ببعض وبالمجتمع وبالحاكم وتفوقت الحضارة الصينية في تعريف الحكومة وواجبها والرعية  
وما يجب أن تكون عليه آدابها .

ولكن هذه الحضارات لم تسفر عن قيم إنسانية فقط ن وإنما أسفرت أيضا عن علوم  
وفنون وهندسة وبنائيات لا زالت إلى اليوم شاهدا على أصلة هذه الحضارات وتفوقها منذ  
آلاف السنين .

والشرق يفهم الحضارة على أنها بناء وتعايش بين الجميع لخير الجميع .  
لذلك فالشرق يعتز بحضارته ويرفض مدنية الغرب  
ولذلك أيضا صحا الشرق صحوة جبارة حين نفض عن نفسه غبار الاستعمار  
والسيطرة الغربية يريد أن يعوض ما فاتته من تأخر لأن جذوة الحضارة جزء من دمائه  
وكيانه وهي أن كانت قد خبت بعض الوقت إلا أنها كانت مشتعلة في الداخل لأنها حضارة  
أصيلة ذات جذور لا يمكن أن تموت .

ولذلك أيضا فزع الغرب لأن صحوة الشرق كانت قوية ورهيبية وهو الذي اعتقد أنه قد  
استحوذ على الشرق ماديا ومعنويا .

وفزع الغرب أيضا لأنه وجد أنه يواجه مئات الملايين فجأة من الشرق الذى استفاق  
وليست بينه وبين هذه الملايين التى تفوق الألف والخمسمائة مليون من ذكريات إلا المرارة  
والحقد والألم والشكوك .

وفزع الغرب أيضا لأنه وجد نفسه بمدنيته التى قامت على الحديد والنار والقرصنة  
والقوة الباغية يواجه شعوبا ذات حضارة أصيلة لا مدنية زائفة .  
شعوب صممت على أن تعيش كريمة وعلى أن تأخذ من المدنية الغربية ما يحفظ قوتها  
المعنوية .

وستبقى المعركة قائمة بين الشرق والغرب حتى تنتصر الحضارة على المدنية  
أى حتى تنتصر القيم العليا على أساليب القهر المادية .

## أخي في الشرق

في الهند وفي الصين  
وإندونيسيا  
وفي بورما والملايو  
وفي سيلان والافغان  
وإيران وباكستان  
اكتب لك هذه الكلمات يا أخي وأنا جالس على ضفة القناة  
وقد قدمت لهذا المكان لأتشد الراحة  
أننى اليوم فى إجازة  
أنه مكان حبيب إلى قلبك بقدر ما هو حبيب إلى قلبى  
والسلام يرفرف هنا  
على ضفاف القناة  
أخي فى الشرق  
أن مصر كلها تحرس اليوم القناة  
فهى الطريق إليك يا أخي  
أننى أحمل السلاح وأنا فى الإجازة  
لكى أومن الطريق إليك يا أخي  
ولكى يظل السلام  
يرفرف على ضفاف القناة  
وهم يريدون الحرب  
لقد عرفتهم يا أخي  
وعرفتهم أرضك المقدسة فى الصين  
أشرا وأنجاسا  
وعرفتهم جبالك ووديانك السمحة فى أندونيسيا  
لصوص الأرض والمال  
وخبرتهم أرضك الطيبة الوادعة فى الهند  
وكم سلبوك من مال  
وقاتلتهم جبالك وفرسانك فى الأفغان  
زهاء القرن شجعانا  
وضاقت بهم الدنيا وأنهارك والأدغال فى بورما  
وقد سرقوك أجيالا  
أخي فى الشرق  
فى مصر عرفناهم  
بلوناهم  
طردناهم  
وأن عادوا شفيينا الغليل  
للأحرار فى الهند  
وللأحرار فى الصين

ولالأحرار فى بورما  
ولالأحرار فى البونشاك  
سنسقيهم بسقياهم  
وسنؤدب شقواهم  
لكى نؤمن الطريق إليك يا أخى  
ولكى يظل السلام  
يرفرف على ضفاف القناة

" من على ضفاف القناة "

## فهرس

صفحة	
7	مقدمة :
11	الفصل الأول : الوطنية المصرية والقومية العربية
43	الفصل الثاني : الوحدة المظلومة
68	الفصل الثالث : حكاية الزعامة المزعومة
83	الفصل الرابع : وحدة العرب والاستعمار
118	الفصل الخامس : الجبهة المسلحة
141	الفصل السادس : العرب وإسرائيل
172	الفصل السابع : حكاية الفراغ ومشروع أيزنهاور
195	الفصل الثامن : ماذا يريد العرب ؟
218	الفصل التاسع : شرق وغرب